موجز تاريخ الوندال من أوروبا الى الشمال الافريقي (400 – 534ميلادي) :

بقلم: أيمن قوادري Aimene kouadri ، خريج جامعة الدكتور مولاي الطاهر بمدينة سعيدة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، شعبة تاريخ، تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصور الوسطى.

aimenkouadri22@gmail.com.

دون بتاريخ 24،12,2023

الملخص:

يعالج هذا المقال موضوع التطور التاريخي لشعب الوندال منذ بداية تحركاتهم في أوروبا لغاية عبورهم للشمال الافريقي، اذ قمنا بتعريف هذا الشعب، كما سلطنا الضوء على تحولاتهم الجغرافية في شمال وجنوب غرب قارة أوروبا لغاية حملتهم على الشمال الافريقي ثم تأسيسهم لمملكتهم.

الكلمات المفتاحية: الوندال، أوروبا، الشمال الافريقي، الامبراطورية الرومانية، مملكة الوندال.

Abstract:

This article addresses the historical evolution of the Vandals, from the beginning of their movement in Europe until their crossing into North Africa. We have defined this people and shed light on their geographical shifts in the northern and southwestern parts of the European continent. All of this culminated in their campaign into North Africa and the establishment of their kingdom.

Key Words: The Vandals, Europe, North Africa, the Roman Empire, Vandal Kingdom.

مقدمة :

تعد اوروبا مجمعا للعديد من الأعراق البشرية والقبائل المختلفة في لغتها وعاداتها وأديانها بل ثقافتها عموما، كما تعتبر أيضا ساحة لظهور عدة دول وممالك مثل الدولة الرومانية التي ستتوسع على طيلة المناطق المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط حتى سيسمى "بالبحر الرومي" لتصبح بذلك امبراطورية مترامية الطراف.

غير انه ما لبثت هذه الأخيرة حتى بدأت تظهر بوادر تفككها نتيجة خلافات داخلية وخارجية عديدة والتي ستبدأ من القسم الغربي من هذه الامبراطورية، وذلك يعزى لظهور نشط لعناصر وقبائل جرمانية على حدود الساحة الجغرافية والتاريخية للامبراطورية الرومانية، والذين بدورهم كان لهم الفضل في تعجيل سقوط العاصمة روما سنة 476 ميلادي وهذا عن طريق مهاجمة الجزء الشمالي الغربي من الامبراطورية.

ولعل من بين هذه القبائل الجرمانية هم "الوندال" أو الفاندال على اختلاف التسمية.

ومنه نتسائل : من هم الوندال؟, من أين جائوا؟, ماهي أبرز المناطق التي استقروا فيها؟ ماهي أبز ممالكهم؟.

كل هذا وأكثر سيتم التطرق له بالتفصيل في هذا المقال العلمي التاريخي.

1_ التعريف بالوندال:

هم في الأصل سلالة من السلالات الفايكنج الجرمانية[1] التي استقرت نسبيا بشبه جزيرة الاسكندنافية ونعني بالفايكنج هنا: "سكان الخلجان"[2]، والوندال خصيصا هم من النسل النوردي الشمالي الاسكندنافي, غير ان أصل تسميتهم كانت ولا تزال موضع خلاف وجدل بين المؤرخين، فمنهم قسم يرى أن تسميتهم مشتقة من بلدة في دولة السويد حاليا تسمى (وندل)[3].

والبعض الآخر رجح أن يكون مرجعهم الاصلي اعتمادا على الدراسات اللغوية، أنهم شعوب من الدانمركيين وليسوا على الاطالق من السويد[4].

وعموما تعد المصادر التاريخية قليلة نسبيا عنهم، غير أنه توجد بعض الكتابات المعتبرة حولهم خاصة باللغة الاتينية، فمن الأمور التي يتوجب التنويه لها أن تاريخ الوندال كتب من طرف أعدائهم وكتاب المنطاق التي وصلوا لها أمثال: الرومان الذين وصفوهم بالهمجية وأنهم من الشعوب البربرية البعيدة عن نطاق دائر الحضارة،

---

[1] **الجرمان:** هم مجموعة القبائل التي تسكن في ما وراء نهر الراين، وهم مجموعتين كبيرتين وهم الجرمان الشماليون والشروقيون والجرمان الغربيون، وحسب ما بحثنا حول اصل هذه التسمية يتضح لنا أنها كانت تسمية غريبة عن هذه القبائل والراجح أن الرومان هم من سموهم بهذا الاسم، أما فيما يخص وصفهم فقد عرفوا بضخامة اجسامهم وبشرة ناصعة البياض وعيون زرقاء وشعر اشقر وخدود وردية وبخصوص ديانتهم فقد كانت خليطا من عبادة قوى الطبيعة ومضاهرها مثل : الرياح والرعد، والكواكب مثل القمر والشمس، ينظر : ابراهيم علي طرخان دولة القوط الغربيين، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1985، ص ص 1، 3، محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995، ص87.

[2] _ سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1972، ص184

[3] _ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي، ط3, دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر, 2013، ص207.

[4] _ محمد حشلاف ويزة آيت عمارة، تراجع الرومان واستيلاء الوندال على إفريقيا 534-429م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 01، 2023، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر، الجزائر، ص497.

وكذا البربر[5] الكاثوليك شمال افريقيا، ويعد من أوائل هذه المصادر ما دونه الأسقف "فيكتوريس فيتنيسيس".[6]

تعود أقدم الدلائل الأدبية المحددة لمواقع الوندال في منطقة سهول اودر وفيستول العليا[7].

2_ نزوحهم نحو وسط وجنوب غرب أوروبا :

نظرا لتدهور الأوضاع في الامبراطورية الرومانية داخليا وخارجيا اضافة لمجموعة عوامل أخرى بدأ زحف الجرمان عموما والوندال خصوصا خلال القرن الثالث ميلادي على الأطراف المحادية لشمال غرب الامبراطورية، حيث توغل الوندال نحو غرب نهر الدانوب بقيادة ملكهم "جوديجيل" وكان هذا التنقل يعزى لأسباب عديدة

---

[5] **البربر**: ويسمون أيضا بالأمازيغ وهم الساكنة الاصلية لفضاء شمال افريقيا، وهم قبائل كثيرة من بينهم: زناتة، صنهاجة، بنو الزيري،كتامة وغيرهم من القبائل الاخرى التي لا سعنا ذكرها كلها أما عن ديانتهم فقد كانت وثنية ولهم الهة خاصة مثل أكش وتانيت وغيرهم، وتبنى بعضهم الديانة المسيحية في ظل الامبراطورية الرومانية ثم بعد ذلك تبنوا الديانة الاسلامية بعد الغزو العربي لشمال افريقيا، وللمزيد من التفصيل ينظر للمراجع والمصادر التالية: ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: سهيل زكار وخليل شحادة، ج5، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000م، ص 4،3، بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها موطنها أعيانها، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2007م، محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، (د.م)، 1982م، ص 459، شارل اندري جوليان تاريخ افريقيا الشمالية ترجمة: محمد المزالي و البشير بن سلامة، مؤسسة تاقلت الثقافية، طرابلس ليبيا، 2011، ص55.
Bruce Maddy weitzman, The berber Identity Movemnt and the challenge of north African states, Universty of Texas Press all rights reserved, Austen,Texas, USA, 2011, p3.

[6] _ كريم مناصر, قراءة في المصادر الأدبية المحلية حول الإحتلال الوندالي للمغرب القديم: كتابات فيكتور الفيتي فيما تعلق بالاضطهاد الوندالي للمسيحيين الكاثوليك، مجلة الحكمة للدراسات الانسانية، العدد 04, 2022, جامعة لونيسي علي، العفرون، البليدة 2، الجزائر، ص3.

[7] _ محمد الهادي حارش، المرجع السابق, ص207.

هـي الاخـرى مـن بينهـا: ضـغط قبائـل الهـون[8] علـى الونـدال، وكـذا نقـص مـواردهم واحتياجاتهم على ظفاف نهر "الثيس"، فتنقلو لمنطقتي "رائيتيا" ونوريكيوم" مما اثار اصطدامهم المباشر مع السلطة الرومانية، اكتمل هذا كله بهدنة انتهت بشرط تزويد الوندال ببعض الافراد لغرض اضافتهم للجيش الروماني، وخلال سنة 406 ميلادية تعرضت شبه الجزيرة الايطالية لغارات عديدة نتيجة تحالف القوط[9] مع الوندال[10].

وفي عام 409 ميلادية وبعد انهزامهم أمام الفرنج في بلاد غالة توجهوا جنوبا نحو شبه الجزيرة الايبيرية،[11] اذ سكن الوندال "الأسدنج والسويفي"، في الجزء الشمالي الغربي من جليقية اما "الألن" في "لوزيتانيا"، أما فيما يخص الوندال "السلينج" فقد سكنوا في جنوب شرق شبه الجزية الايبيرية وتحديدا في بايتيكا والتي صتصبح تعرف باسم الأندلس نسبة للوندال، غير أن حاكم الامبراطورية الرومانية الغربية الامبراطور "هوتوريوس" كان مضطرا لقبول هذا الوضع ريثما يجد حلا بديلا والذي تمثل في التحالف مع والي القوط الغربيون ضد الوندال لطردهم من شبه

---

[8] **الهون** : هم احدى الشعوب الأسيوية برز وجودهم السياسي بزعامة قائدهم اتيلا، يقال أنهم كانوا متجاورين مع القوط في شبه جزيرة القرم يفصل بينهما مضيق كريتش، بحيث كانوا يسكنون تحديدا شمال جبال القوقاز، مارسوا الرعي وعرفوا كذا بالتنقل والترحال الدائم أما عن ديانتهم فقد كانت الوثنية، ينظر جون مان، أتيلا الهوني ملك البرابرة وسقوط روما، ترجمة : عمرو الملاح، مكتبة مؤمن قريش، الامارات، 2013، ص37.

[9] **القوط** : استقر القوط بمجاذات الامبراطورية الرومانية وينقسمون الى القوط الشرقيون واستقروا في السهول الجنوبية من بلاد روسيا، أما القوط الغربيون فاتجهوا نحو داشيا والبلقان، أما عن ديانتهم فقد كانوا وثنيين ثم بعدها تبنوا المسيحية، ينظر : سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص66، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب البناني، بيروت لبنان، القاهرة مصر، 1989، ص33.

[10] _ محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص134.

[11] _ محمد الهادي حارش, المرجع السابق, ص ص 208, 209.

الجزيرة الايبيرية لكن ذلك لم ينجح ففي كل مرة يهاجم الرومان الوندال يجمعون قواهم مجددا ويصبحون أقوى[12].

وعموما قد نشبت عدة حروب طاحنة بين الوندال والرومان دامت لغاية حدود سنة 422 ميلادية، بحيث خربوا المدن واضطهدوا الكاثوليك واحتلوا جزر البليار[13] سنة 428 ميلادية[14].

---

[12]_ محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص135.

[13] **جزر البليار (Baliares)**: هي أرخبيل يقع شرق شبه الجزيرة الايبيرية، جزره الأساسية هي: مَيُورْقَة، مَنُورْقَة، يَابِسَةً، فَرْمَنِتِيرَة، وقَبْرِيرَة، وجزر أخرى كثيرة فرعية حوالي المائة منهم ، شكلت طيلة العصور منطقة ربط بين شبه الجزيرة الإيطالية وشمال إفريقيا نحو شبه الجزيرة الأيبيرية، يقال أن اليونانيون هم أول من سموهم ببليارس، ينظر: عاصم سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار، ط1، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1984، ص ص 18،15.

[14]_ محمد الهادي حارش, المرجع السابق, ص ص 208, 209، محمود محمد الحويري، نفسه، ص136.

3_حملت الوندال على بلاد المغرب :

3_1 ظروف ما قبل الحملة :

أولا : في شبه الجزيرة الايبيرية :

بعد أن أصبح جوندريك ملكا على الوندال استقر في جنوب شبه الجزيرة الايبيرية بحيث سيطر على عدة مدن وهزم ولاتها مثل مدينة قرطاجنة و مدينة اشبيلية[15] وغيرهم من المدن، وعند موت الملك سنة 428 ميلادي كان له ولدان وهما "جوزيريك" والذي وصف بذكائه وادارته أمور مملكة والده أما "جونثاريس" فقد كان طفلا صغيرا[16] فبالتالي تم اختيار الاخ الأكبر ملكا عليهم[17].

ثانيا في الشمال الافريقي :

قام الوندال بهجمات على موريطانيا الطنجية سنة 428 ميلادي، اذ كانت هذه الغارات بمثابة المهيئة لغزو، خاصة مع وجود ضروف سيئة في الشمال الافريقي مثل:

1_ الثورات الدائمة ضد الحكم الروماني في المنطقة[18].

---

[15] **اشبيلية** : هي مدينة من مدن جنوب شبه جزيرة ايبيريا قام ببنائها " يُوْلُوشْ" أو " يُولْيُوسْ قَيْصَرْ" الإمبراطور الروماني وأقام بها الأسوار الحجرية الصلبية وقصبتين يسميان بالأخوين واسمها القديم (أَشْبَالّ) الذي يعني المدينة المنبسطة وقيل اسمها القديم "يُوْلُوشْ" وقيل "أَشْبَا"، نسبة للإمبراطور المذكور أعلا, وهناك رأي آخر يقول أن المدينة بناها القوط، ولمزيد من المعلومات ينظر: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح : محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر(د.ت)، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ج 02، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003م، ص ص 389،390.

[16] _ محمود سعيد عمران، مملكة الوندال في شمال افريقيا، دار المعارف، مصر، 1985، ص19,

[17] _ محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص136.

[18] _ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص211.

2_ الاضطهاد الروماني للبربر خاصة لمسيحيي المذهب الدوناتي[19].

3_ ارهاق السكان بالضرائب.[20]

بينمنا نجد مبارك بن محمد الميلي في كتابه تاريخ الجزائر القديم والحديث قد قدم طرحا جديدا معاكسا لما طرحه المؤرخين الذين سبقوه الذين اعتبروا أنه من الأمور التي سهلت على الوندال التوسع على حساب بلاد البربر وهو الاتفاق البربري الوندالي من الناحيتين من ناحية الطبع وكذا من ناحية الدين، وذلك بقوله :

(يقول بعض المؤرخين : ان الذي سهل على الوندال احتلال الوطن البربري وقرب أمده هو اتفاقهم والبربر طبعا ودينا. ذلك بأن طبع الجميع حب الثورات وهدم الحضارات، ودين الجميع كان على خلاف دين الرومان الارثذوكس . وليس ذلك عندي بصحيح البربر انما كانت ثوراتهم حبا في الاستقلال وتطهير هوائهم من سموم الانفاس الاجنبية ، وكانوا أكثرهم وثنيين والمسيحيون منهم كانوا غير متفقين مذهبا مع الوندال)[21].

---

[19]_ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص26.

[20]_ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص211.

[21]_ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت، الجزائر، ص337.

3_2 العبور الوندالي لشمال افريقيا:

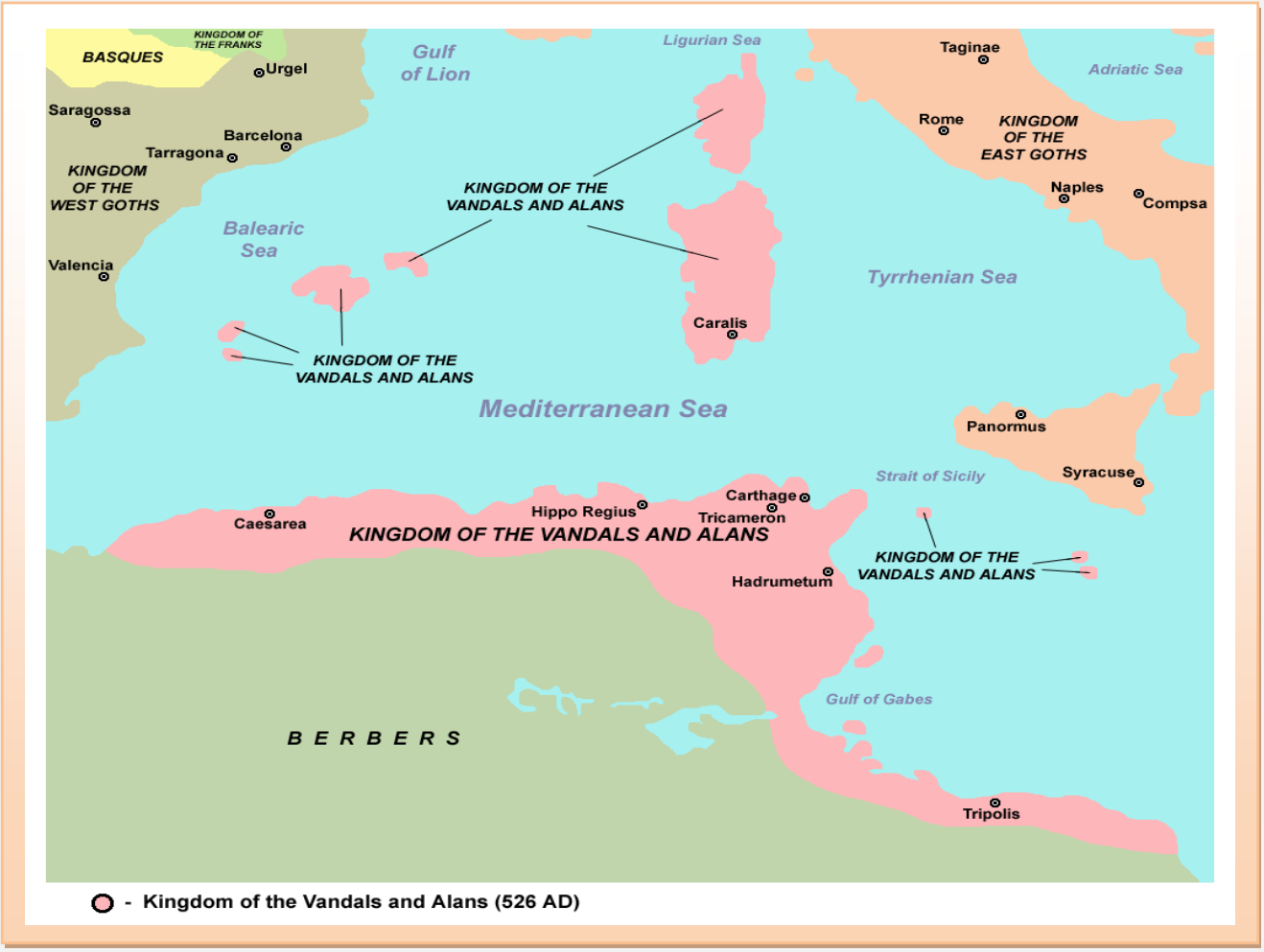

تذكر لنا المصادر التاريخية والمراجع أن جنسيرق حاكم الوندال عبر رفقة شعبه الوندال و الألن أعمدة هرقل[22] الفاصلة بين موريطانيا الطنجية و شبه جزيرة ايبيريا بتعداد يقدر بحوالي ثمانين الف نسمة، من بينهم خمسون الف جندي[23] وكان ذلك خلال شهر جوان من سنة 429ميلادي وقيل بعد هذه الفترة بقليل[24]، ثم بعدها زاد العدد عن طريق التحاق عناصر جديدة ونداليـة من الأهالي، وكان ذلك بمساعدة

---

[22]_ محمود سعيد عمران، نفسه، ص23.

[23]_ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص212.

[24]_ محمد حشلاف وآخرون، المرجع السابقت ص504.

المور وكل من يحمل كراهية الرومان في موريطانيا الطنجية، كما لا نستثني بذلك دور الكونت "بونيفاس" في هذه العملية أيضا[25].

ليبدأ بذلك التوسع الوندالي على بلاد موريطانيا الطنجية ونوميديا فمن مدينة طنجة لغاية غرب نوميديا نشبت حروب عديدة نتيجة اصطدامهم مع الرومان[26]، ثم توسع الملك "جنسريق" بعد هزيمة القائد الروماني بونيفاس لغاية مدينة "هيبون" بعد حصارها لما يتعدى عاما واحدا، ليتنهي الحصار بالاستلاء الوندالي عليها سنة 431ميلادي، ثم بعدها استولى جنسريق على مدينة "قرطاجة" في التاسع عشر من شهر أكتوبر سنة 439ميلادي، وبعد الاستقرار الوندالي في المنطقة قسمها جنسريق الى خمس مقاطعات وهي: المزاق، نوميديا، اباريتان، الجيتول وأخيرا زغوان، أما عن نظام الحكم فقد كان ملكيا مع بعض التعديلات التي أظفاها جنسريق ، وبخصوص نظام طبقات المجتمع فقد تكون من: النبلاء، طبقة المحاربين، والعبيد [27]وكانت بونة عاصمة لهم[28].

---

[25]_ محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص212.

[26]_محمد حشلاف وآخرون، المرجع السابق، ص503.

[27]_ محمد الهادي حارش، نفسه، ص ص215، 229,

[28]_ محمد بن مبارك الميلي، المرجع السابق، ص340.

4_ نهاية مملكة الوندال في الشمال الافريقي:

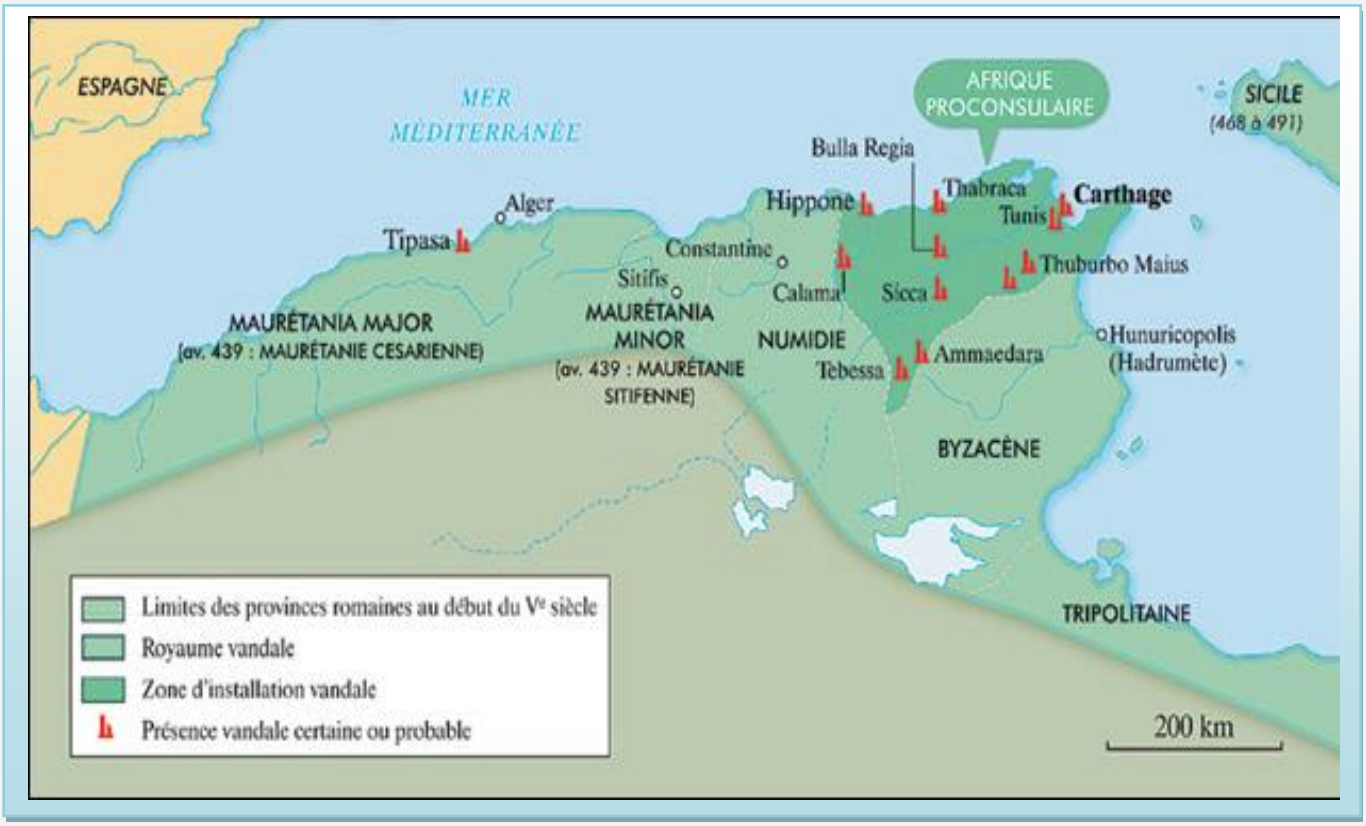

انتهت هذه المملكة نظرا لعدة اسباب منها الثورات المحلية ضد الملوك الوندال وكذا سوء تسيير المملكة,[29] اضافة لسبب الرئيسي وهو حملة الرومان البزنطيين على الملك "جلمير" آخر ملوك الوندال[30]بعد أن حكموا الشمال الافريقي، من طرابلس الغرب لغاية مدينة سبتة[31] بمدة تقارب مائة سنة 428م لغاية 534م[32].

---

[29]_ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص151.

[30]_ محمد بن مبارك الميلي، نفسه، ص350.

[31] **سبتة:** تقع هذه الحاضرة أقصى شمال المغرب الأقصى[31]، أسسها الرومان وكان أسمها (سِيفِيطَاسْ)[31]، جاء في كتاب "صبح الأعشى" أنها تقع بين بحرين بحر الروم والبحر المحيط، وهي محاطة بأسوار كبيرة من الصخر، ينظر : محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تح : إحسان عباس،ج2، ط 02، مكتبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983م، ص303، الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1983م، ص316.

[32]_ محمود سعيد عمران، نفسه، ص156.

الخاتمة:

من خلال ما ذكر مسبقا يمكننا القول أن الوندال هم من القبائل الجرمانية الذين كلنت تحركاتهم الجغرافية لافتة لانتباه المؤرخين، فقد استطاعوا رغم الصعوبات التي واجهواها ضد القوط والهون و الرومان من تأسيس مملكة بمنطقة بلاد البربر، وقد كانت عاصمتها بونة أو هيبون، أما عن نهاية هذه المملكة فقد كانت على يد البزنطيين بعد أن دامت مملكتهم بالشمال الافريقي ما يقارب المائة سنة.